الشعر

﴿ ومنزلته فى الآداب العربيـة فى مصر والشرق ﴾

قرأتُ فى مجلة « أبولو » (عدد أكتوبر الماضى) مقالا ممتعاً لصديقى الدكتور محمد بك حسين هيكل محرر « السياسة » ، عرض فيه للشعر العصرى فى اللغة العربية ومنزلته فى الآداب العصرية فذهب فى مقاله مذهباً أخـذ يذيعه منذ زمان مضى على صفحات « السياسة الاسبوعية » حيناً وفى كتبه حيناً آخر . على أننا لا نريد أن نورط الدكتور هيكل بك فندعو ماكتب مذهباً جديداً فى الادب ، لان ماكتب فى هـذا الموضوع لا يتعدّى حدَّ أنه فكرة حاول من طريقها أن يصوِّر حالة الادب العربى ليقول إن الشعر العصري قـد فاته النثر بمراحل واسعة ، فى حين أن الشـعر كان من الواجب أن يتصدَّر زعامة الأدب العربى . وجاء فى مقاله ذاك ما يلى :

« ... أحسُّ منذ زمان بعيد ومنذ اطلعت على آثار شعراء الغرب ان الشعر العربى لم يقتحم كثيراً من ميادين الشـعر الخاصة به . والناقدون يفسرون هذا بأن نشأة الشعر فى البادية من شبه جزيرة العرب قد ضيقت نطاقه وحدَّت من دائرته . وهذه حجة غير مقنعة فى رأيى . فهى ان صحت لا يمكن ان تعتبر غلا فى عنق الشعر بعد ان امتد سلطان الحضارة الاسلامية الى بلاد غنية بأساليب الشعر وفنونه وبالميادين التى اقتحمتها . ولست أرى كذلك ان الدين قـد كان سبب هذا القصور الذى قعد بالشـعر عن اقتحامه الميادين جميعاً . فالدين يفتح أمام الشعر ميادين كثيرة جـداً ويشجع عليها ، ومع ذلك قعد الشعر عن اقتحامها . فلا بد إذن من التماس الاسباب لهـذا النقص فى أطوار الامم التى تتكلم العربية من نواحيها التاريخية والاجتماعية والسياسية . وربما ظن بعضهم وجوب التماس هذه الاسباب كذلك فى ناحية الجنسية

وهل كانت السامية التى ينتمى اليها أكثر المتكلمين بالعربية سبباً فى هذا النقص أو لم تكنه » .

وهذه الفكرة فى بحث الدكتور هيكل بك قضية تتبعها قضية أخرى هى أن الشعر العصرى جارى الشعر القديم فلم يستطع أن يقتحم ميادين الحياة جميعها فقصر عن اللحاق ببقية صور الادب فى العصر الحديث . أما السبب الذى يعزو له الدكتور هذه الظاهرة فينحصر فى قوله : « أن لا سبيل الى اقتحام الشعر ميادين جديدة والى اندفاعه فى تيار النهضة بالقوة الواجب أن يندفع بها ، الا اذا اقتحم رافعو لواء الشعر هذه الميادين بروح جديدة : روح غير روح الانانية التى تحصرهم اكثر الامر فى دائرة ضيقة من عواطفهم الوقتية او تفكيراتهم السطحية أو أخيلتهم القليلة الارتفاع » فكأنه يريد أن يقول إن الشعر العصرى قد ورث عن الشعر القديم ضيق الخيال وسطحية التفكير وفراغ الأخيلة ، وأنه لهذا انحصرت دائرته وحددت ميادينه بحدود الانانية التى غزت الروح العربىّ واثرت فى كل الشعوب التى ورثت العرب فى أدبهم وصور ثقافتهم جميعاً .

ومحصل الفكرة التى تجول فى رأس الدكتور ينحصر فى أن الأدب العربى لم يقتحم ميادين الحياة جميعها وأن الأدب العصرى ورث هذه الظاهرة ، وأنه لاسبيل الى التخلص من آثار هذا النقص إلاّ بأن يقتحم الشعراء المحدثون ميادين الشعر بروح جديدة أما الأسباب التى قعدت بالعرب عن اقتحام ميادين الحياة مثبوتة فى الشعر والأسباب التى قعدت بالمعاصرين عن التخلص من آثار الوراثة التى ورثناها عن العرب وكيف نستطيع ان نخلق ذلك الروح الجديد الذى يمكّن الشعراء من اقتحام ميادين الحياة كلها ، فأمور لم يعرض لها الدكتور هيكل بك فيما كتب فى « أبولو » ولا فى غيرها من الصحف

على اننى لست أدرى بادئ بدءٍ لماذا لا يكون للروح الدينية أثرٌ فى صدّ روح الشعر عن الانبعاث فى ميادين جديدة واقتحام ميادين الحياة برمتها ؟ قد يقولون بان روح الدين لم تصدّ أدباء أوروبا وشعراءها عن ذلك ، غير انهم فى ذلك انما يغفلون عن حقيقة تضع فارقاً عظيماً بين الاثر الذى خلفه الدين النصرانى فى أوروبا والدين الإسلامى فى الشرق . على ان هذا الفارق لم يكن راجعاً الى طبيعة الدينين ، بل الى طبيعة البيئة والنشأة التى نشأت فيها شعوب الشرق وشعوب الغرب . فكان من

أثر هذا أن تكونت فى الشرق حضارة قامت على الدين ، أما فى الغرب فقد تكونت عقيدة دينية قامت على الحضارة .

نعم لا ننكر أن عيسى عليه السلام قد بلغ شغاف روما وفى يد انصاره كتاب منزل تكونت أجزاؤه من روح النسك الاسيوية . ولكن الحقيقة ان الحضارة الرومانية ابتلعت هذه الروح وظلت طليقة من آثار الاسيويات بكل صورها ، فظلت كل صور الثقافة طليقة من الآثار التى قد تقمع العقل والمشاعر عن ان تسبح حيث أرادت وأينما شاءت ، حتى لقد امتد خيال ملتن الى الفردوس المفقود وخيال دانتى الى الكوميديا . فدخل كلاهما الميدان بشعور غير مفسد بالتقاليد وخيال غير مقيد بالقدسيات ، الى الحد الذى يصد الروح الأدبية عن الانبعاث فى سبيلها المرسوم. وعلى الضد من هذا كان الشرق : فان القرآن قد أدى رسالته وحصر اعجازه فى البلاغة والإيجاز . وقال بصريح العبارة « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » ثم « وما فرطنا فى الكتاب من شىء » . فالشعر غير مبتغى فى ذاته ، والكتاب حوى كل شىء . فاذا تذكرنا ان هذه النصوص المقدسة تقيد ضمائر المسلمين كما تقيدها قواعد الدين الأصلية من صيام وصلاة وزكاة وحج ، أفلا يكون من المنطق الصحيح ان تصد هذه الروح القدسية آخيلة الشعر عن الانبعاث فى اقتحام ميادين جديدة فى الحياة تتناول صور الحياة على حقيقتها ؟ ثم مَنْ مِنَ الشعراء يحاول بعد نزول القرآن ان يقتحم ميادين الحياة بعد ان انتقلت الحياة العربية بكل صورها من الدنيا الى الآخرة. وبعد أن اعجز القرآن العرب من طريق البلاغة وصور لهم ان هذه الحياة طريق الآخرة وخادمتها ، وساعد روح النسك الاسيوية على أن تتمكن هذه الفكرة من أهل الشرق الاسلامى فَتَعْصِرَ أخيلتهم عصراً وتحدها تحديداً ؟ لهذا تجد ان كل صور الأدب العربى قد نزعت الى خدمة الأغراض الأخروية دون الأغراض الدنيوية ، فحدت كل صور الثقافة ومنها الشعر فأعجزته عن اقتحام ميادين جديدة فى الحياة أو فى طرف واحد من أطرافها الشتيتة ، ولقد أصبح الشعر بعد ذلك أداة تخدم الأغراض الأخروية ككل أدوات الثقافة الأخرى : كالنثر والفلسفة والكلام . وإذن يكون الشعر قد قيده الدين وأثر فيه فصده عن اقتحام الميادين التى ينعى الدكتور هيكل بك على الشعراء المحدثين عجزهم عن اقتحامها . واذن يكون الدواء الوحيد هو تحرير الأفكار وفك الضمائر من اسارها القديم ؛ وحل الآخيلة عن خدمة الأغراض الدنيوية .

بعد هذا نتساءل: هل تحررت الأفكار فى الشرق بحيث تستطيع أن تفكّ اغلال الماضى وتقتحم ميادين جديدة فى الشعر والحياة ؟ اللهم كلاً !

مِن رأى الدكتور هيكل بك ان النثر قداقتحم ميادين جديدة لم يقتحمها الشعر وأنا أوافق على هـذه الفكرة ، ولـكن هل استطاع النثر أن يقتحم طريقه الى النقد التاريخى فى أشياء تتناول الاخرويات أو القدسيات ؟ هل استطاع ان يتناول البحثُ النقدَ الأدبى فى علاقته بالادب الدينى ؟ وهل ينكر أحد أن علاقة الادب العربى بميادين الدين وثيقة الى درجة أن الفصل بين الطرفين مستحيل ، وأن تجريد الادب من النقـد يجرد الادب من كل المبررات التى تجيز لنـا ان ندعو الادب العربى أدباً على اطلاق القول ؟ هل اتصل الادب النثرى بالعلم ؟ وهل اقتحم طريق الفلسـفة ؟ هل استطاع ان يبثّ فينا روح العلم والفلسفة كما بثّها فولتير وبايل وهمبولد وداروين وغيرهم من عظماء الغرب ؟ لم يستطع النثر ان يصـل الى شىء من هـذا ، وعلى هـذا يكون النثر أيضاً فى حاجة الى اقتحام ميادين جديدة فى الحياة يأخذ عدته لهـا من روح جديدة . واذن يكون كلا عنصرىْ النهضة الادبية فى احتياج الى روح جديدة تفتح لهما ميادين يقتحمانها .

هذا شأن النثر الذى يعتقد الدكتور هيكل بك انه بزّ الشعر وتقدمه فى ميادين الحياة . فهل يصح لنا ان ننعى على الشـعر عجزه عن اقتحام ميادين الحيـاة جميعاً ، فى حين أن النثر قـد عجز بالفعل عن اقتحام باب واحد من تلك الابواب التى أكل مصاريعها الصـدأ ولا تزال مغلقة اغلاقاً محكماً ؟ ثم ألا ترى معى أن الميادين التى اقتحمها النائرون لا تزال محصوره فى الانانيـة التى « تحصرهم اكثر الأمر فى دائرة ضيقة من عواطفهم الوقتية أو تفكيراتهم السطحيـة او أخيلتهم القليلة الارتفاع » كما يقول الدكتور هيكل بك فى الشعر والشعراء . على أن النثر أيسر من الشعر طريقاً وأسلس قياداً وأبين سبيلا . وعلى هذا يكون عذر النثر فى العجز عن اقتحام أكثر ميادين الحياة غير بـيّنٍ تماماً ، ما لم نعـد بالبحث الى نشأة النثر والشعر الى أصولهما والمؤثرات التى أثرت فيهما منذ قيام الاسلام الى اليوم .

نعود بعد هذا الى السبب الثانى الذي ذكره الدكتور هيكل بك وشك فى أن يكون سبباً فى صدّ الشعر عن اقتحام ميادين الحياة جميعاً ، وهو «الناحية الجنسية» التى يبدى شـكه فيها بقوله « وهل كانت السامية التى ينتمى اليها أكثر المتكلمين بالعربية سبباً فى هذا النقص أو لم تكنه » .

ولا شك مطلقاً فى أن الروح الدينية قد صدّت كل المحتكين بها فى الشرق عن الانبعاث فى سبيل اقتحام ميادين الحياة . فالفرس وهم من أصل آرىٍّ ، لا من أصل سامى، لا ينزلون عن العرب تقيُّداً بهذه الروح لا فى العصر الحاضر ولا فيما سبقه من العصور. ولكن لماذا لا يكون لنشأة الساميين وبيئتهم أثر فى كل هذا ؟ فالساميون الذين يمثلهم فى العصر القديم ملوك الرعاة الذين غزوا مصر واليهود الذين يمتد تاريخهم الى أبعد العصور ولا يزالون الى اليوم خير من يمثل السامية ، كلهم قبائل رحل نشؤوا فى الصحراء وتأثرت عقولهم وأخيلتهم بفكرة الوحدة والاطراد التى غرستها فى نفوسهم طبيعة البلاد التى نشؤوا فيها . فهم والعرب شرع فى حكم التأثر ببيئة واحدة وبأخيلة بعينها . ولقد كان أثر الدين الموسوى فيهم كبيراً لا يقل عن اثر الدين الاسلامى فى العرب والذين وقعوا تحت سلطانهم . والمصريون كما ثبت اخيراً لا يمتّون للسامية بنسب ، بل هم سلالة من سلالات البحر الأبيض المتوسط لاعلاقة لهم بآسيا على اطلاق القول ، كما أثبتت البحوث العلمية الجديدة فى نشأة الشعوب . فلماذا يكون الأدب فى شمال البحر الابيض المتوسط غيره فى شاطئه الجنوبى، والدم واحد والاخيلة واحدة ؟ ان أثر النشأة والبيئة واثر العقائد والتربية، كل هذا له نتائجه فى قمع الفكر والخيال، واذن تكون النتيجة ان السامية ، لدى الظاهر، لاتحمل مسؤولية الذى يبدو على الادب الحديث وعدم قدرته على اقتحام ميادين الحياة . ولكن اذا أردنا ان نصل الى الحقيقة لا إلى الظاهر، وجب علينا ان نتساءل : ماهى البيئة ؟ أليست هى مجمل الظاهرات التى تبدو على جماعة من الجماعات منتزَعة من طبائعهم وغرائزهم ؟ واذا صحّ هذا وقبلناه راجعين به الى حقيقة العلم لا إلى المنطق فحسب ، استطعنا ان نُحَمِّلَ السامية بروحها الأخروية ـ التى هى صورة من صور الطبع الرسيس من الساميين ـ كثيراً مما يبدو على الأدب الحديث من العجز عن اقتحام ميادين الحياة ، واستطعنا ان نجعل أثر هذا الطبع فى تصوير العقائد وتحديد ميولها ونزعاتها بيننا فى التأثير الذى يدل على الشعوب التى غزتها السامية بأفكارها وعقائدها . ولهذا وجب علينا ان نربط بين النقد الأدبى وبين نشأة الشعوب التى ننقد آدابها ، وأن نتغلغل فى صميم تاريخها وندرس عقائدها واخيلتها والاتجاهات التى تتجه فيها اقيستها المنطقية على الأخصّ ، وإلاّ فاننا ولا شك نعجز عن أن نجعل للنقد اثره الأقوم فى توجيه الأدب، لأن النقد لدى الواقع هو هذه الأداة التى توجِّه الآداب فى اية طريق يختار.

على اننا بعد كل هذا نتفق والدكتور هيكل بك على اننا نحتاج الى روح جديدة

نستطيع من طريقها ان نفتح للآداب الجديدة ميادين جديدة فى الحياة . غير اننا نحتاج الى هذه الروح فى النثر والنقد كما نحتاج اليها فى الشعر . وما هى هذه الروح ؟ عندى انها روح التحرُّر من التقاليد وفكّ العقول والاخيلة من اسارها القديم ، والفصل بين الدنيا والآخرة ، وبالأحرى بين الحياة والموت .

إن النثر والشعر صورتان من صور الادب العالى لهما فى كل لغة من لغات العالم الحية قديماً وحديثاً اثرهما وشأنهما الاعلا . غير ان النقد ، وهو عنوان هذا العصر ، لا يمكن ان يتركهما من غير ان يتحداهما بسلطانه الذى قال فيه إدورد كيرد انه سلطان لم يفلت منه الدين مستوياً على عرش القداسة ، ولا القانون مستوياً على القوة والسلطة .

ولكن لأية صورة من صور النقد نحتاج لكى نفلح فى ان نفتح للنثر والشعر ميادين جديدة يقتحمانها الى صميم الحياة ؟ لا شك فى اننا نحتاج الى النقد الحر الذى لا يفلت منه الدين فى علاقته بالأدب ، ولا القانون فى علاقته بالأنظمة الاجتماعية . أما الى غير هذا من صور النقد فلا حاجة لنا .

جُعلتْ الحياة حرة طليقة ، وعلى هذا شاءت الطبيعة الحياة ان تكون . واذن فلا يستطيع أن يقتحم ميادينَ الحياة إلاّ الاحرار . أما غيرهم فلا نصيب لهم فى الحياة بل نصيبهم الموت والفناء !

اسماعيل مظهر

حائر !

قبل أن أعرج على هذه القطعة الشعرية من الناحية الفنية ، أو أتكلم عن قيمتها الأدبية ، أقف هنيهة عند عنوانها « حائر ! » : ذلك اللفظ الذى يشعر حقيقة بالاضطراب وعدم الاستقرار .

يشعر الانسان أحياناً شعوراً غير اعتيادى ، يملك عليه كلَّ حواسه ومشاعره ، شعوراً عميقاً لايدري كنهه ولا مأتاه ، ولا يعرف عنه إلا أنه سبب له انقباضاً ،

إن كان شعوراً بألم ، أو انبساطاً ، إن كان شعوراً مصحوباً بلذة أو سرور . وقد يصل به الانقباض إلى درجة السآمة والضجر ، فتبدو عليه الكآبة ، ويستولى عليه الحزن واليأس ؛ ثم هو يحاول أن يخلص بنفسه من هذه الحال المضنية ، التى يقاسى ألمها ، فلا يجد ثمة طريقاً الى الخلاص ويزيد فى انقباضه تفكيره فى الخلاص منها ، ثم لا يلبث أن يستسلم لليأس ، ويغمره الحزن ، وتثور ثائرته ، فلا تهدأ الا بعد أن يطفئها بقليل من العبرات التى تجود بها عيناه .

عبد العزيز محمد عطية

هكذا كان الشاعر سيد قطب عند ما بدأ بتسطير هذه المقطوعة ، وهذه هى الحال التى يعانيها كثيرٌ منا ، الا انه كان أقدر على التعبير عنها وطاوعه بيانه ، وطاوعته شاعريته على ابرازها صورة واضحة جلية لا تدل الا على الحيرة ، ولا تعبر الاعن عدم الاطمئنان ، وتقفنا على ما كان يختلج فى صدره من شعور واحساس. وكلما كان الشاعر قادراً على التعبير عما يجيش فى صدره من العواطف النفسية المختلفة كان واضح الشاعرية ، وسما مركزه بين الشعراء كشاعر .

مقدمة لابد منها للحديث عن هذه القطعة « حائر ! »

ونعود بعد ذلك الى الكلمة فنجد أن الشاعر قد انتحى فيها ناحية فلسفية حينما اتخذ من فؤاده طريداً شريداً هائماً على وجهه فى الاودية يبحث عن مأوى يسكن اليه ، ويجد فيه شيئا من اليقين الذى ينشده ويتمناه . وهو عند ما يقول :

اطمأنّ الليلُ الا من فؤادٍ خافقٍ يرجف كالطير الذبيحْ
مستطارٌ هائمٌ فى كل وادٍ أفما آن له أن يستريحْ ؟!

* * *

انه يحيا كما يحيا الطريدْ باحثاً فى الأرض عن مأوًى أمينْ
حيرة لجتْ على هذا الشريدْ ليته يلقى شعاعاً من يقين!

* * *

كان يشعر بالحيرة التى كان يعانيها فؤاده ، وهل الفلسفة إلاذاك ؟ خصوصاً وأن هذه الحيرة لم تكن لأمر من الأمور التى تدعر للحيرة عادة فى الحياة اليومية المعروفة فلم تكن حيرة « لماضٍ قد ذهب ، ولا مستقبل ضاع هباء » ولكنها كانت حيرة نفس فائرة غير مطمئنة ، وفؤاد مضطرب غير مستقر . أما عن النقطة الثانية (مزايا أسلوبها ودلالته بالنسبة لدقائق التعبير) فقد يكون فى مقدمة كلمتى هذه ما يصلح عنها جواباً .

ويدل على عصرية هذه المقطوعة بعدها عن الأغراض التى اعتاد الشعراء سابقاً السير على نهجها وعدم الحيدة عنها والتى هوت بالشعر العربى إلى درجة غير محمودة ، فقد حملوا الشعر مالم يخلق له وجعلوه خاضعاً لاحكام الظروف والمناسبات الرخيصة ، فلم يكن املاءً من شعورهم وترجماناً لعواطفهم ، ومرآة لاحساسهم ومشاعرهم .

ننظر بعد ذلك الى الكلمة فى ألفاظها وما حملته من معانٍ :لبعض الألفاظ دون بعض نغمة موسيقية خاصة تجعلها عذبة محبوبة تطمئن الآذان لسماعها ، وترتاح النفس عند قراءتها ، وهذه الالفاظ كثيراً ما يحتاج اليها الشاعر ليعبر بها عن المعانى النفسية الدقيقة الحساسة التى يريد أن يقولها ، وهذه الميزة تبدو ظاهرة فى تلك القطعة ، ولعل هذه أوضح مميزاتها فى الشعر العصرى . واذا أضيف إلى هذا ما ذكرته من وضوح التعبير فيها ، والغرض الذى قيلت فيه ، وموسيقية ألفاظها كانت هذه أهم مظاهر التجديد فيها.

أمّا الاجابة عما إذا كان لهذه القطعة نظائر فى شعرنا « الكلاسيكى » فتبدو عسيرة متشعبة النواحى يضيق المجال هنا عن شرحها بالدقة المطلوبة ، لأن هذا الموضوع يحتاج إلى مقال خاص . فكثيراً ما يوجد فى الشعر « الكلاسيكى »

شيء من هذه الروح ولكن ينقصها الترتيب والدقة والاتجاه ، وهذه الناحية فى الشعر — وإن وجدت — فى شعرنا الكلاسيكى قديماً وحديثاً إلا أنها لم تتخذ لها اتجاهاً مقصوداً وانما كانت تأتى فى الشاعر عفواً وفى ثنايا شعره .

أما أمارات شاعريتها القوية فهذا أمر يشعر به السامع ولكنه لا يستطيع التعبير عما أحسّه من قوة وجمال ، وكل ما يعلمه أنه شعر عند سماعها باطمئنان ، وأنها صادفت عنده قبولا. ولكن لماذا ؟ لا يدرى !

ونحن اذا راعينا سنّ الشاعر ولون ثقافته وجدنا أنه قد وصل إلى مرتبة فى الشعر ، وإلى اتجاه خاص ، يصح أن يقال فيه : انه ليس الاتجاه الذى كان يتجهه عادة من هو فى سنه وفى مثل ثقافته من الشعراء .

وبعد ، فقد يعزّ على انسان يعجب بقطعة من الشعر أن يحسّ فيها عيوباً ، وقد يكون غير مصيب فى هذا ، إلا أن اعجابه بها قد يعميه عن نواحى الضعف فيها ؟

عبد العزيز محمد عطية

الزعيم

ومخرَّقٍ عنه القميصُ تخالُه بين البيوتِ من الحياء سقيما
حتى إذا رُفِعَ اللواءُ رأيتَه تحت اللواء على الخميسِ زعيما

أما أن هذين البيتين رائعان ، وأما أن الشاعر قد أجاد فى ارسالها أو جاوز حدّ الاجادة فذلك ما نسلّم به ويسلّم به معنا القراء . ولكن الذى نريد أن نتحدث عنه هو موضع الروعة ومحل الاعجاز وسر الجمال فيهما . ولعل موضع الاعجاز فى هذين البيتين هو أنهما يصوران لك النفس العالية فى صورتين مختلفتين ، صورة هادئة وادعة لا تود أن تعلن عن نفسها أو تشعر من حولها بوجودها ، وصورة متوثبة عاملة تتضاءل النفوس بجانبها وتتجلّى فيها البطولة والتضحية وهما يمثّلان على وَجَازتهما أمام ناظريك فصلين من فصول الخَيَالة: يتراءى لك فى الأول مخلوقاً ضئيلاً يتعثر بين المنازل فى أسماله البالية ، ويتوارى عن العيون حياءً وخجلاً حتى

لتحسبه هزيلاً مريضاً ويسدل عليه الستار ، وأنت أشدّ ما تكون إشفاقاً عليه ورحمةً به . ثم يرفع الستار فى البيت الثانى عن ذلك المخلوق الضئيل وقد نُفخ فى بوق الجهاد ونادى منادى الحرب فتزعّم قومه وكان من جيشه فى الطليعة ، ثم يسدل عليه الستار وأنت أشد ما تكون اعجاباً به وسروراً . بل إن فى هذين البيتين من سرعة الانتقال التى تكاد تجمع بها فى ذاكرتك بين الصورتين وتقرن بين الحالتين ما لا تستطيع أن تظفر به من الخَيَالة .

وإخالك بعد ذلك قد فهمت أن سرّ الابداع فى هذين البيتين ليس هو دقة التصوير فحسب ، فإن ذلك موجود فى الشعر العربى بكثرة ، بل إن هذا المعنى نفسه قد سبق الشاعرَ اليه كثيرٌ من الشعراء ، يحضرنى منهم الآن العباس بن مرداس إذْ يقول :

ترى الرجلَ النحيف فتزدريه وفى أثوابهِ أسدٌ مريرُ

ولكن موضع الابداع إنما هو فى سرعة الانتقال والجمع بين حالتين متناقضتين كل منهما فى ناحية تقريباً .

ونحن لا نزال نعتقد — حتى يأتينا القراء بغير ما نعتقد — أن حظ هذا النوع البديع من الشعر العربى ولا سيما الجاهلى منه كان ضئيلاً . ولقد كان الشاعر يجهد لغرضه بعشرة أبيات أو تزيد ثم لا تراه بعد ذلك يجيد الانتقال ... وها هو زهير ابن أبى سلمى زعيم الشعراء فى هذا العصر لا يستطيع أن يتخلص إلى مدح هرم ابن سنان بعد أن ذكر فى وصف الديار والاطلال أكثر من خمسة عشر بيتاً إلا بهذا البيت الذى لاعلاقة له بكلا الغرضين (الوصف والمدح) :

دَعْ عنكَ ذا وعَدِّ القول فى هرمٍ خيرِ البُداةِ وسَيِّدِ الحُضْرِ

ولعل أبدع ما نعلمه فى هذا قول الشاعر العربى يصف ديار أهله بعد اغتراب طال مداه :

بالأمس كان بكِ الظباءُ أوانساً واليومَ فى عرصاتِكِ الغُرْبانُ

فقد استطاع الشاعر فى هذا البيت وحده أن ينتقل بفكرك مسرعاً من حالٍ الى حال تخالفها .

وأحسب أن شاعرنا عند إرساله هذين البيتين كان متأثراً إلى حدٍ كبير بقول عنترة العبسى يخاطب عبلة :

ضحكتْ عُبَيلةُ إذ رأتْني عاريا خلْقَ القميص وساعدي مَخْدُوشُ
لاتضحكي مني عُبَيْلَةُ واعْجَبي منّي اذا التفتْ عليَّ جيوشُ !
ورأيتِ رُمْحي في القلوب محكماً وعليَّ من فيض الدماء نُقوشُ !

فهو كما ترى يصور لحبيبته منظرين : رفع الستار عن الأول فاذا به خلق الثياب جريح الذراعين ، وفى المنظر الثانى كشف لها عن بطولته واقدامه وصبره على لقاء أعدائه . وحول ذلك صورة من الضرب والطعن والكرّ والفرّ : والموقف واحدٌ تقريباً وإن كان شاعرنا قد أجمله فى بيتين فحسب .

واذا كان هذا الانتقال الخبرى رائعاً وجميلاً كما رأيتَ فانه فى باب الانشاء أروع وأبدع ، بل يكاد يكون من ألزم الأشياء الى شعراء المسرح ، كما ترى فى النماذج العالمية الممتازة ؟

طلبة محمد عبده

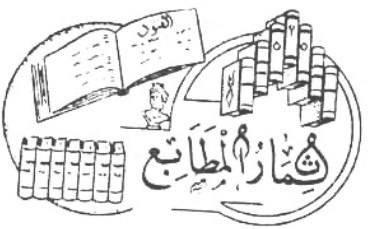

اثنا عشر عاما

فى صحبة أمير الشعراء

تأليف احمد عبدالوهاب أبو العزّ سكرتير المرحوم احمد شوقي بك، ١٩٢ صفحة، ١٢ سم. × ١٥¾ سم. الثمن ٥٠ مليماً . مطبعة مصر بالقاهرة .

لا نبالغ اذا قلنا إن هذا الكتاب الصغير الحجم الكبير الدلالة مما لايستغنى عنه أيُّ أديبٍ يعنى بحياة شوقى واقتباس الشواهد من عاداته الخاصة وطباعه لتفسير نزعاته الفنية ومرامى شعره ، وإن كنا نتمنى على حضرة المؤلف اصدار جزء ثان يضمنه الكثير من البيانات التى لم تسمح العجلة بنشرها فى هذا الجزء . وقد استهله